اللغة السردية وخصوصيتها عند منى سالم
دراسة في الرؤية والأداة

الباحثة/ سعدية قاسم عطا محمد

ملخص البحث:

من المعروف أن اللغة تحدد قدرة الروائي على الإبداع، وفي هذا البحث تتناول الباحثة عرض اللغة السردية وخصوصيتها عند منى سالم، والكاتبة تعزز من دور بيئتها في أعمالها الروائية؛ لذلك أسهمت اللغة في الكشف عن قضايا المتن الحكائي التي تتعدد بتعدد الرؤى، وتتنوع بتنوع أساليب اللغة وطرق التعامل معها، وهناك ترابط وثيق بين اللغة والنظام السردي فمن خلالها يتشكل الخطاب السردي، ومنى سالم في رواياتها عبرت عن هويتها اللغوية بما يتجاوب مع محيط بيئتها.

وتتبع خصوصية اللغة السردية عند منى سالم في الكشف عن انغماس تجربة الكاتبة في الموروث الشعبي بصوره كافة من معتقدات وعادات وتقاليد ومثل وقيم، هذه الموروثات التي عبَّرت عنها اللغة السردية تشير إلى وعي الكاتبة ببيئتها وما تفرزه من أحاديث متداولة ومعروفة من أمثال ومواعظ وحكم وحكايات وسير؛ كاشفة عن التكوين الثقافي للبيئة المصرية؛ كما وقفت اللغة على مفردات الحياة اليومية من تعبيرات، كالرحاية التي تطحن الغلال يدويًا، والمخرطة التي يصنع عليها الفطير، والكلوبات، والدلكة، وطاسة الخضر، والصرة ... إلخ، وجاء الطقس الشعبي بأنماطه كافة كاشفًا عن طبيعة البيئة الريفية.

فوقفت على طقوس العقد الشرعي والرقصات وأغنيات الخطبة وعقد القرآن وليلة الحنة بداية من الأدوات المستعملة وانتهاء بطريقة نقش الحناء وليلة الزفاف وطقوس ما بعد الزفاف بتقاليدها المتوارثة، وهذا كله يضفي على اللغة السردية خصوصيتها الفكرية والجمالية داخل بنية السرد.

Abstract:

It is known that language determines the ability of the novelist to be creative, and in this research the researcher discusses the presentation of narrative language and its specificity according to Mona Salem, and the writer enhances the role of her environment in her fictional works. Therefore, language has contributed to revealing the issues of the narrative text, which are as diverse as the visions, and as varied as the language styles and ways of dealing with them. There is a close connection between language and the narrative system, through which narrative discourse is formed. Mona Salem, in her novels, expressed her linguistic identity in a way that responds to the surroundings of her environment.

The specificity of the narrative language, according to Mona Salem, stems from revealing the writer's experience being immersed in the popular heritage in all its forms, including beliefs, customs, traditions, ideals, and values. These heritages expressed by the narrative language indicate the writer's awareness of her environment and the circulated and well-known conversations it produces, such as proverbs, sermons, proverbs, tales, and biographies. Revealing the cultural composition of the Egyptian environment; The language also contained expressions of daily life, such as the mill that grinds grains by hand, the lathe on which unleavened bread is made, the klobahs, the dalkah, the vegetable bowl, the sarah...etc., and the popular ritual came in all its forms, revealing the nature of the rural environment.

I looked at the rituals of the legal contract, the dances, the engagement songs, the Qur'an contract, and the henna night, starting with the tools used and ending with the method of henna engraving, the wedding night, and the post-wedding rituals with their inherited traditions. All of this gives the narrative language its intellectual and aesthetic specificity within the structure of the narrative.

مقدمـــــــة:

إن اللُّغة داخل بنية السرد جزءٌ لا يتجزأ من الرواية نفسها، فلا رواية بدون لُغـة، واللُّغة بشكل عام وفي بنية الخطاب الروائي بشكل خاص، تتميز بخصوصية فريدة، تتبـع هذه الخصوصية وفق عاملين مهمين: **أولهما/** انتماؤها لخصوصية الجنس الأدبـي نفـسه، حيث إن الرواية ترتكز في الأساس على بنية الوصف، هذا الوصف يتطلب لُغـة بعينهـا، تتناسب مع مقصدية الخطاب الروائي، فتتجلى الوظيفـة الجماليـة والإيحائيـة والرمزيـة والمجازية وغيرها من الوظائف التي تضفي علـى الـسرد طـابع خـاص، **وثانيهمـا/** خصوصية الكاتب نفسه، حيث إن الكاتب وليدة بيئته، هذه البيئة لها تأثيرهـا الفاعـل فـي إثرائه بمخزون لغوي لافت للنظر، ويظهر ذلك عند احتكاك المتلقي بالسرد نفـسه، حيـث يجد نفسه أمام كمٍ هائل من الألوان اللفظية التي تشير إلى ثقافة الكاتب المتنوعة.

وتمتاز اللُّغة السردية داخل بنية الخطاب، بأنها " **ثمرة انتقـاء وتهـذيب للمـادة المحسوسة، المستمدة من الطبيعة أو من الحياة الإنسانيـة، وغاية هذا الانتقاء هو إثارة التأثير أو الانفعـال الجمالي**". [1]

لذا حظيت اللُّغة مكانة مرموقة بين عناصر البنيـة الـسردية، حيـث أصـبحت موضوعَ الإبداع الروائي أو بالأحرى الموضوع الحقيقي للراوية، لما تحمله من خـصائص وسمات خاصة تثري الخطاب الروائي، وتحقق مقصديته.

وإذا أرادت الباحثة الحديث عن اللُّغة السردية وخصوصيتها، تجـد نفـسها أمـام أمرين مهمين يجب الحديث عنهما، نمطية اللغة في الرواية التقليدية، ونمطيتها في الروايـة الحديثة، لأن التطور الملحوظ الذي أصاب الرواية مؤخرًا، له تأثيره الفعال فـي العناصـر الفنية المشكلة للرواية عامة، وعنصر اللغة خاصة.

فقد نأت اللُّغة السردية في الرواية الحديثة عـن التعقيـد والتكلـف والغمـوض، واعتمدت على اللُّغة البسيطة السهلة التي تحقق مبتغاها في تحليل الواقع وتفسيره والاندماج معه، فبعدت عن التقرير والمباشرة وارتكزت على الإيحاء والتصوير، بـل تعـدت ذلـك، وانغمست في الشعرية؛ لتنتج دلالات ورموزًا تخدم الغرض الأساسي للخطاب الروائي.

وعلى هذا الأساس اختارت الباحثة موضوع بحثها معنونًا بـــ **(اللغـة الـسردية وخصوصيتها عند منى سالم)** وقد اخترت منى سالم تحديدًا، لما للكاتبة من أسـلوب بـديع في الكتابة، الذي حمل أشكالًا متعددة للغة، حيـث تجلـت اللغـة التقريريـة والتـصويرية

١- أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال، مصر، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٦م، ص٣٧.

والتعبيرية والتسجيلية، ليس ذلك فحسب، بل ظهرت لغة الطقوس الشعبية عند وقوف الكاتبة على القرية المصرية وما بها من موروثات قديمة، واللغة الأسطورية التي تمثلت في الحضور القوي لمفردات السحر والحسد والجن داخل بنية السرد، ونالت اللغة الشعرية نصيبًا كبيرًا في كتابات منى سالم، وهذا كله سيتم التعرف عليه في هذا البحث.

وتتجلى أهمية البحث في كونه يقف على آلية سردية، لها أهميتها داخل الخطاب الروائي، ونموذج تطبيقي (منى سالم) له قيمته الأدبية في مصر، فمنى سالم كاتبة رصدت الواقع المصري بصوره كافه، حيث كان للمكان دوره البارز في ذلك، فمسقط رأسها كان في (قنا)، ونشأتها كانت في (القاهرة)، وزواجها في مدينة (الإسكندرية)، هذه التعددية المكانية، جعلت الكاتبة متمكنة في الكشف عن الواقع بصورته الحقيقة، حيث كانت جزءًا منه.

فالبحث يسعى إلى التعرف على تشكلات اللُّغة داخل بينة السرد، وما أنتجته للمتلقي من دلالات ورموز، تسهم في إبراز رؤى الكاتبة تجاه الواقع المصري، كما يرنو البحث إلى إظهار خصوصية اللغة السردية في كتابات منى سالم التي تنحصر في لغة الوصف ولغة الحوار وشعرية اللغة السردية، لذلك جاء المنهج الفني مناسبًا لتحقيق أهداف الدراسة.

تمهيـــــد:

إذا نظرنا إلى الرواية على كونها شبكة من العلاقات سواء كانت واقعية أم تخيلية، نجد اللغة وسط هذه العلاقات لها مكانتها الخاصة، فهي حاملـــة للشخـــصيات والأحـــداث والصراع والزمان والمكان، وعلى هذا الأساس تحتل مكانة مرموقة وقيمـــة أدبيـــة داخـــل الأعمال السردية، فـــ" **اللغة هي التفكير، وهي المتخيل، بل لعلها المعرفة نفسها، بل هـــي الحياة نفسها**". [١] وعلى هذا تنبع من اللغة عدة وظائف تصوِّر المجتمع بمستوياته كافة.

والسرد هو أداء فعالة تعمل على نسج الأحداث الواقعية والمتخيلة، وتوزيعها فـــي ثنايا النص الروائي؛ كما أن المتخصصين في نظرية السرد، يرون أن مصطلح السرد، يعد من أبرز المفاهيم التي دخلت النطاق النقدي؛ لذا فمن الضروري تحديد مفهوم السرد.

السرد لغة: هو "**التتابع في الحكي والأحداث بصياغة محكمة**" [٢] **واصطلاحًا:** هو **"الخيارات التقنية والإبداعية التي يتم من خلالها تحويل الحكاية إلى قصة فنيـــة، وهـــو يشمل الراوي والمنظور الروائي وترتيب الأحداث**"[٣]، وإذا نظرنا إلى السرد فـــي مجملـــه يمكن تشبيه بالعملية الإنتاجية التي يكون أطرافهـــا: الـــراوي/ الـــذي يمثـــل دور المنـــتج، والمروي له/ الذي يمثل دور المستهلك، والخطاب/ الذي يمثل دور السلعة المنتجة.

والسرد يقصد به " **الكيفية التي تروي بها القصة، وما تخضع له من مـــؤثرات، بعضها متعلق بالراوي، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها**" [٤]، وهو يعني الإخبار ونقل المعلومات والمعارف المختلفة من طرف المتكلم إلى المخاطب.

وبعد الإطلالة السريعة عن السرد ولغته، يأتي الحديث عن الكاتبة محل الدراسة (منـــى سالم)، ونظرة عامة عنها وعن أعمالها الروائية.

---

(١) عبد المالك مرتاض، في نظرية الأدب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر، ٢٠٠٥م، ص١٣٩.

(٢) تعددت مفاهيم السرد في المعاجم اللغوية المختلفة، انطلاقًا من أصله اللغوي، منها ما جاء في لسان العرب في مادة (س، ر، د): "تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقًا بعضه في إثر بعض متتابعًا، سرد الحديث ونحوه يسرده سردًا، إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردًا، إذا كان جيد السياق له، وفي وصفه كلامه، وفي صيغة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يسرد الحديث سردًا: أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه" **انظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيـــروت، لبنـــان، ط٤، ١٩٩٩م، مادة(س، ر، د)، مجلد٧، ص١٦٥**، ووردت مادة (سرد) في (القاموس المحيط) بمعنى النسيج والسبك فهو: "الخرز في الأديم بالكسر والثقب كالتسريد فيهما، ونسج الدرع اسم جامع للدروع وسائر الحلق، وجودة سياق الحديث، ومتابعة الصوم: صار يسرد صومه". **الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـــان، ١٩٩٩م، ج١، ص٤١٧**، ووردت مادة سرد في الصحاح: " الدرع مسرودة ومسرود. وقد قيل: نسجها وهو تداخل الخلق في بعضها البعض-ويقال: السرد: الثقب، والمسرودة: الدرع المثقوبـــة والسرد اسم جامع للدروع وسائر الحلق .. وسردت الصوم أي تبعته" **أبو نصر إسماعيل الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) تحقيق محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م، ص٥٣٢.**

(٣) لطيف زيتوني، معجم نقد الرواية (عربي-انجليزي-فرنسي)، مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٠٥.

(٤) حميد لحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩١م، ص٤٥.

تعد **منى سالم**[١] من أهم كاتبات الرواية في مصر، فقد نالت أعمالها الروائية حظًا كبيرًا من الصعود، وقد حصدت عدة جوائز، وتناول عدد من النقاد أعمالها الروائية بالنقد والتحليل.

وبالنظر في أعمال منى سالم، تلحظ الباحثة الآتي:

- طغيان الموروثات الشعبية في بنية السرد في الخطاب الروائي لدى الكاتبة.
- حضور المرأة بصورة طاغية في بنية السرد.
- طغت اللغة العامية وتجلت في أغلب أعمالها الروائية.
- التراث بأشكاله كافة له حضور مهيمن في السرد.
- الأسرة لها حضور مهيمن في بنية السرد، وظهر ذلك في صورة (الأب – الأم – الأخوات ... إلخ).

تشكلات اللغة السردية في أعمال منى سالم الروائية:

لقد تعددت تشكلات اللغة السردية في أعمال منى سالم الروائية، وهي كالآتي:

لغة الوصف:

إن منى سالم لها طريقة خاصة في الوصف، لذلك من يتعرض لرواياتها يجد نفسه فيها، ويستشعر كينونته بداخلها، لأنها لغة واقعية تمثل الذات المصرية، بجانب كونها تحمل سمات جمالية، فيمكن القول عليها، بأنها لغة "**هذا الجنس الأدبي الشعري، اللاشعري معًا، والاجتماعي، والواقعي، والأسطوري جميعًا، هذا الجنس المتغطرس المختال الذي طغا في عهدنا هذا على جميع الأجناس الأدبية الأخرى**".[٢]

ولغة الوصف تعد من أهم الآليات في تقديم العناصر السردية داخل بنية الحكي وخاصة عنصر المكان والشخصيات، حيث إنها تضفي على هذه العناصر عمقًا دلاليًا بجانب الإيقاع الجمالي، وعليه تعمل لغة الوصف على " **إعطاء الإيقاع الروائي سمته من خلال وصف تحركات الشخصية في الفضاء**" [٣] وتصبح من أهم التقنيات السردية التي تسهم في رفع قيمة الخطاب الروائي، لأن من خلالها يتمكن الروائي من رسم كلماته، حتى تصبح لوحة فنية بديعية، مما دفع بعض النقاد عدّ لغة الوصف بمثابة الرسم بالكلمات في وصفها للشخوص، وفي ذلك يقول جيرار جينت " **كل حكي يتضمن سواء بطريقة متداخلة**

---

(١) الاسم : منى سالم سعد الدين سالم، **اسم الشهرة** : منى سالم، من مواليد **قنا** – تعيش بالإسكندرية، عضو **اتحاد كتاب مصر**، عضو **مجلس إدارة الاتحاد**، عضو مجلس **إدارة جماعة الأدب العربي عضو نادي القصة بالقاهرة ، وندوة الاثنين بالإسكندرية**، عضو **هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية** بالإسكندرية، أهم أعمالها الروائية: المشهورات/ رجال في حياتي/ تؤام روحي/ البيوت في بر مصر/ أميرة الجان أحبتني.

٢- عبدالمالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص٤٩.

٣- ينظر: إبراهيم جنداري ونبهان حسون السعدون، الإيقاع في القصة القرآنية، مجلة التربية والعلم، كلية التربية – جامعة الموصل، العدد ٢٩ لسنة ٢٠٠١م، ص٥٢-٥٣

أو بنسب شديدة التغيير أصنافًا من التشخيص لأعمال أو أحداث ما تكون ما يوصف بالتحديد سردًا هذا من جهة، ويتضمن من جهة أخرى تشخيصًا لأشياء ولأشخاص، وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفًا ". [١]

تسهم لُغة الوصف مساهمة فعالة في بنية السرد في أعمال منى سالم الروائية، فأهميتها لا تقل عن أهمية باقي عناصر البنية الأخرى، كالشخصيات والأحداث، والصراع المتولد بفعل الواقع، فقد قامت منى سالم من خلال لغة الوصف للأمكنة والشخصيات والأحداث في توضيح ما في بنية المجتمع المصري من عادات وتقاليد وموروث ثقافي وفكري، قد جسدتها أفضل تجسيد.

وتتجلى لغة الوصف عند منى سالم خاصة عند الحديث عن القرية المصرية، حيث إنها بنت بيئتها، تأثرت بها وأثرت فيها، لذلك بدت مفردات القرية واضحة جلية داخل بنية السرد، فالمكان أسهم في توضيح الثقافة الريفية بكل مشتملاتها، حيث الموروث والعادات والتقاليد.

ويتجلى ذلك بشكل واضح، عندما يصف الراوي الدار، فيقول " **في آخر الدار غرفة صغيرة للبهائم، بجانب الدار غرفة الفرن، بجانب الفرن الطاقة الكبيرة؛ لحفظ الخزين بداخلها....** [٢] أسهمت اللغة الوصفية هنا في تعرية الواقع الريفي من خلال المكان الروائي، فاللغة وقفت على معالم تراثية خاصة بالريف، فدائمًا يكون في آخر الدار غرفة للبهائم، فالأسرة تقوم بتربيتها وخدمتها، فهي مصدر اقتصادي مهم بالنسبة للأسرة الريفية، وذكرت اللغة أيضًا غرفة الفرن، وهذا ملمح تراثي مستمر حتى الآن، فالبيت الريفي لا يخلو من هذه الغرفة ومن الطاقة الكبيرة التي تحفظ خزين البيت بداخلها، وهذا المقطع الوصفي ارتكز على ثلاثة أشياء مهمة تعد من أساسيات البيت الريفي (البهائم/ الفرن/ الطاقة)، فهم بالنسبة للأسرة الريفية الحياة.

" **وتضع جدتي كوز اللبن كل صباح ومساء، من حليب المعزة التي تربيها وتصحبها معها في كل مكان وتصنع(الجبن) من حليبها الرايب في أوان فخارية وأشاهد طهي الطعام علي "الكانون" ورائحة إحتراق الحطب يزكم أنوفنا، أجري وألعب وأدخل في حضن جدتي عندما أتشمم رائحة العيش المحمص الذي أشتهي مذاقه)** ". [٣] يطغي على هذا المقطع اللغة العامية، وكيف لا تطغي هذه اللغة، ومحور الرواية في حضرة الريف المصري،

١ – حميد لحميداني، بنية النص السردي ، ص: ٧٨.

٢ – رواية البيوت في بر مصر، منى سالم، ص: ٨.

٣– رواية أحضان الغربة، ص: ٧.

لذلك مفردات الطبيعة الريفية لها حضور مهيمن داخل بنية السرد، فنجد (كوز اللبن/ حليب المعزة/ الجبن/ الرايب/ الكانون/ الحطب/ العيش المحمص ..)، هذه المفردات تعطي طابعًا خاصًا، وخصوصية فريدة من نوعها، تسهم بحد كبير في الكشف عن ميول الكاتبة للريف واشتياقها له بكل تفاصيله، واتضح ذلك من اللغة الوصفية التي اتكأت عليها الكاتبة في السرد.

"**إلي منزل عمته، سافر عبده وأولاده والعروس وأم العروس وجميع الأهل والأحباب، استقبلوهم بالطبل والزغاريد من أول محطة القطار بنجع حمادي حتى البلدة (الكعيمات) في زفة المزمار، والعروس تركب المحمل حتى وصل الركب إلى المنزل وظل الغناء والرقص لا ينقطعان حتى اليوم الثاني يوم السوق، سوق السبت الذي يحتفل به كل بيت في البلد**". [١]

تصف الكاتبة هنا مشهد واقعي، ويدلل على ذلك وقوفها على أماكن حقيقية (نجح حمادي/ الكعيمات)، وأحداث حقيقة أيضًا حيث حالة العرس وما يُجرى فيه من عادات وتقاليد موروثة، فالطبل والزغاريد وزفة المزمار والغناء والرقص، هذه مراسم متغلغلة في بنية المجتمع الصعيدي، كشفت عنها الكاتب بأسلوب سردي بديع، واللغة الوصفية هنا أبرزت المفارقة بين البيئة الصعيدية وأي بيئة أُخرى في مراسم الزفاف، وعلى هذا تتبع خصوصية الكاتبة في السرد التي تجلت في اللغة السردية التي تكشف عن ملامح هذه البيئة.

وكما أن منى سالم وقفت على اللغة الوصفية داخل بنية السرد من خلال اللغة العامية المتداولة داخل البيئة الصعيدية، وقفت أيضًا على اللغة الوصفية من خلال الأسطورة، وتجلى ذلك في رواية أميرة الجان أحبتني، ومن خلال عتبة العنوان تظهر نمطية اللُّغة بصورة مباشرة دون الدخول في عوالم النص.

حيث غاصت بنا الكاتبة في عالم الطقوس والخرافات والأساطير الشعبية، متأثرة بحكايات ألف ليلة وليلة، بأسلوب حكائي بسيط، ولكنه قادر على إيصال المعني والمغزي من هذا العالم الغريب، بشخصيات منتقاة من الواقع المصري، تؤمن بهذا العالم، وبرعت في دمجهم مع العالم الأسطوري.

فاللغة الوصفية في هذه الرواية كانت خليطًا بين اللغة الأسطورية وهي الأكثر حضورًا مع اللغة الواقعية، حيث بَنت الرواية على أن أحد الجيران يطلقون عليه المجنون،

١- نفسه، ص: ٥٨.

يلبسه عفريت، فقامت الكاتب بتتبع هذه الشخصية، وتعريتها أمام المتلقي، من خلال لغة بسيطة سهلة مفهومة، موضحة دواخل هذه الشخصية النفسية، وما يحدث لها من تقلبات فكرية ووجودية بلغة تحمل كل سمات الملمح الأسطوري من خرافات وأساطير شعبية.

فيقول الراوي " **في ليلة من الليالي جلست بعد العشاء كعادتي وراودني الفضول مرة أخرى بأن أقرأ في الكتاب وعنوانه "غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة" وأخذت أتصفح موضوعاته في الفهرس فاجأني شعور بالخوف إلا أنه خوف بسيط عما سبق**". [١]

كشف المقطع السابق، من خلال اللغة الوصفية، شعور الخوف الذي ينتاب الشخصية، وسعيها للقراءة، في غرائب وعجائب الجن؛ كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وعلى لسان الشخصية تقول: **اتفقنا أن نذهب إلى المقابر بالليل، وفعلًا ذهبت أنا وعبد الله وأخذنا معنا كشاف ليضئ الطريق .. المقابر قريبة من الزراعات، وفي هذا الوقت كان مزروع ذرة .. والذرة أعواها طويلة تغطي الشخص، سرنا أنا وعبد الله نقدم رجلًا ونؤخر الأخرى من الخوف ووصلنا إلى المقابر وبضوء الكشاف نتجول ..** [٢] هذا المشهد يحيل إلى أن اللغة الوصفية في هذه الرواية كثر فيها الطابع الأسطوري، حيث أصبحت المقابر محور بنية السرد.

لغة الحوار:

يعد الحوار من أهم العناصر التي يقوم عليها الخطاب الروائي، فهو الذي يكشف عن الشخصيات وأيديولوجياتها، وعن الصراع بأنماطه كافه، فيعرف على أنه " **حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه، أو من ينزله مقام نفسه، يفرض منه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس** " [٣]

وتعد اللغة داخل بنية الحوار بمثابة المرآة العاكسة للفرد والمجتمع، فهي وسيلة مهمة في التعبير عما يعتري الذات الإنسانية من رؤى وأفكار ومشاعر، " **ولعل ما يكسب الحوار أهمية استثنائية، خاصة في لغته، هو أن كل ما في الرواية يقوله شخص واحد هو الروائي، مباشرة أو من خلال الراوي الذي يكون هو نفسه أو إحدى شخصيات الرواية،**

١- رواية أميرة الجان أحبتني، منى سالم، ص٢٣.

٢- نفسه، ص٤١.

٣- ينظر، نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد، الأردن، (د. ط) (د. ت)، ص٩٠.

خلاف الحوار الذي يقوله الروائي أو الراوي والشخصية المرسومة أو المفترضة أو المتخيلة أو الذي تمثله هذه الشخصية.[١]

ولغة الحوار تشكلت من خلال عدة أنماط داخل أعمال منى سالم الروائية، حيث كانت المناجاة ذات نصيب كبير في بنية السرد ثم الديالوج والمونولج الدرامي الذي أسهم في تفاعل المتلقي مع الخطاب الروائي.

فيقول الراوي:

وخرجت نوارة من الغرفة وقبل أن ينغلق الباب خلفها دخل الصغير وملابسه كلها ملوخية تملأ صدره و وجهه، ضحكت وتمتمت في سرها:

-ابني مع أولاد الجيران يأكل أكثر حتى لو مطبوخ على ميه.

دخل عبده الغرفة وقبل أن يجلس على الأريكة وجد كومة في ركن السرير، وقف ينظر بينما كانت عيناه تجوبان أركان الغرفة وقال ..

- حمد لله على السلامة يا أم العيال، عملتيها امتى؟

أغرورقت عيناها بالدموع، ربّت على كتفها وقال

- العيل مات، ربنا يعوض عليكي

- لا مامتتش، بس رزقنا ببنت عمياء

-هانعمل ايه ؟.. رزقها ورزقنا على الله

جففت دموعها وقامت تجهز له الطعام على الطبلية ، وأشعلت لمبة الجاز الكبيرة نمرة عشرة لتنير الغرفة المظلمة .... [٢]

هذا المقطع تجلت فيه المناجاة حيث الزوجة وحديثها مع نفسها على موقف ابنها وهو يدخل عليها وهو ملطخ بالملوخية، ويأتي الديالوج الذي حمل ملامح درامية، له تأثير فعال في خلق جو من التعايش بين المتلقي والموقف المحكي، حيث أم العيال تلد فتاة عمياء، وهي حزينة جدًا، لكن زوجها احتواها، وأظهر الحوار الطابع الديني لزوجها، عندما قال (رزقها ورزقنا على الله).

وظهرت اللهجة العامية بصورة واضحة أيضًا في المقطع السابق، وأكد ذلك مجموعة من الألفاظ الدارجة داخل الأسرة المصرية الريفية، مثل: (الملوخيه/ ركن السرير/ أم العيال)، وهذا لا يمنع من ظهور بعض الجمل التي تحمل اللغة الفصحى، مثل (أغرورقت عيناها بالدموع، ربّت على كتفها).

١- ينظر، نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، ص ١١.

٢- أحضان الغربة، ص: ٩.

أول فرصة لإبراهيم في شراء الأرض الجديدة أدخل أمه شريكة خامسة في الأرض، لم يترك الكرباج من يده، بل كانت طريقة كلامه به مع الصغير والكبير، حتى زوجة أخيه الذي يلقبها بنعناعة كانت تخشي لأسلوبه الحاد والجاف مع الجنس اللطيف [1] تكشف اللغة في المقطع السابق ملامح شخصية (إبراهيم)، حيث إنها شخصية جادة وحازمة لها صوتها المنفرد، البيت كله يخشاه ويخاف منه، وعبّر الراوي عن ذلك من خلال لفظ (الكرباج).

"**مايكونش الولية عيانة، دأنا ما سمعتش صوتها من يومين، الباب جانب الباب**" [2] يتمثل الحوار هنا بلغة عامية دارجة معروفة داخل المجتمع المصري، والحوار جاء في صورة مناجاة، حيث الشخصية تناجي نفسها؛ خوفًا على جاراتها التي لم تظهر مدة يومين، هذا الحوار يظهر قيمة إنسانية رفيعة، حيث الجار وعلاقته الوطيدة بجاره الآخر، عند غيابه يسأل عليه ويشاطره همومه وأحزانه.

شعرية لغة السرد:

إن اللغة الروائية الآن صارت على المنوال نفسه التي صارت عليه بنية القصيدة، بل تطور الأمر وأصبحت لغة أرقى من لغة الشعر نفسه، وهذه كانت رؤية الروائيين الجديد تجاه التطوير والإعلاء من شأن الأدوات الفنية الروائية، حيث إن" **الرواية الحديثة ركزت على اللغة وكثفت قدراتها التعبيرية، حتى أضحت قصيدة القصائد وملتقى الأنواع الأدبية وامتزاجها جميعًا في نص واحد.** [3]

فأصبحت اللغة الشعرية مظهرًا من مظاهر الحداثة في الخطاب الروائي، حيث استدعت مقومات اللغة وما تتضمنه من طرائق وتقنيات فنية، لها تأثير فاعل في البنية بهدف التأثير في الذات المتلقية، وعلى هذا تأتي اللغة في الرواية وتحمل صفة التصويرية وصفة الوصفية الإيقاعية، بجانب الرمزية التي تبرهن على حضور الواقع الإنساني والتخيلي داخل النص الروائي، وعليه يمكن القول إن اللغة الشعرية تعد العمود الفقري التي تقوم عليه الرواية الحديثة، حيث لها دور مهم في تحويل الرواية من التقليدية إلى الحداثة.

والأمر ليس قاصرًا على الجانب اللغوي فقط، بل إن الشعرية انسابت في العناصر البنائية الأخرى للرواية، تضفي عليها طابع الخصوصية والتفرد والتميز، حيث إن الرواية

١- نفسه، ص: ٢٧.

٢- نفسه، ص:١٢.

٣- ينظر: المبدأ الحواري، دراسة في فكر ميخائيل باختين، تزفيتان تودوروف، ت/ فخري صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢، ص١١٣.

بهذا الشكل تجمع بين خصائص الأجناس الأدبية كلها في الوقت نفسه، ويرى بسام قطوس أن البحث في شعرية الرواية يعني " **البحث في أسلوبيتها قصد بلورة شعرية روائية دون الانسياق وراء الفكرة القائلة بإلغاء الأجناس الأدبية، إنّه بمعنى من المعاني بحث عن فعلها الروائي الخاص الذي يمنحها إمكانات قرائية متعددة، تنقل الخطاب الروائي من معيارية النثر إلى انزياحية الشعر، وتجعل المتلقي متواصلًا ومحاورًا وراغبًا في لذة الاكتشاف**". (١)

وعلى هذا يمكن أن تكون الرواية شعرية " **من حيث هي تشكيل لغوي يعبر بالسرد عن عوالم تخييلية معقدة، ولا يتوقف الإشكال عند حدود استعارة الرواية لتقنيات الشعر، بل يتجاوز هذا التصور الاختزالي إلى التساؤل عن كيفية اشتغال الخطاب الشعري في النص الروائي، وكيف تشتغل هذه التقنيات حيث ترحل من بلاغة الشعر إلى بلاغة الرواية؟**".(٢)

وروايات منى سالم تطرقت لهذا النمط من اللُّغة، ويؤكد ذلك المقتبسات الروائية الآتية، فيقول الراوي:

- **يا أيها الحزن كف عن مطاردتي دعني وشأني بعيدًا عن مجاهيل الليل الطويل، أخشى أن ياتيني الفجر فأموت وحيدًا**(٣).
- **خيم السكون على الكون في هذه الليلة، تكاثفت السحب وحجبت ضوء القمر الذي كان ينير دروب البلد المظلمة، شق الطريق في خطوات سريعة، وصل أمام بوابة خشبية كبيرة، شد الحبل من الخارج، فتح الباب، دخل وأغلقه وراءه بعد أن أسقط يد (الغراب)، مشي خطوات**(٤).
- **لما شدينا الرحال من القرية إلى المدينة، وكان متاعي أنا وزوجي منديل محلاوي معقود بداخله غيار لي و لزوجي، وكل منا يرتدي غيار، وقلت السعادة حتعم علينا والأشية حتبقي معدن والعيشه هتبقي فل، وفجأة سقط طريح الفراش والمرض بدأ يتوحش بداخل جسده ويزحف على رجله، قلت ربنا معايا وهاقف جانبه حتى أخر نفس، رفعت ايدي وقلت يارب**(٥) .

١- مقاربة نصية في الأدب الفلسطيني الحديث، بسام قطوس، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٠م، ص١٦٠.

٢- التشكيل اللغوي في الرواية، علامات في النقد، محمد بوعزة، ج ٣٣، مج ٩، النادي الأدبي الثقافي، جدة، (١٩٩٩)، ص: ٨٣.

٣- رواية توأم روحي، منى سالم، ص: ١٥.

٤- رواية المشهرات، منى سالم، ص: ١٧.

٥- رواية أحضان الغربة، ص: ١٦.

هذه بعض من المقتبسات التي تحمل ملمح الشعرية في اللغة، حيث الكاتبة لجأت إلى التصوير الإبداعي من خلال اختيارها لألفاظ بلاغية تحيل إلى دلالات ورموز تدعم رؤيتها.

إن منى سالم اعتمدت في لغتها السردية على مجموعة من الألفاظ الدالة التي تحمل سمات درامية، لها تأثير فعال في نفس المتلقي، فالألفاظ داخل بنية التراكيب اللغوية، لم تكتف بالجانب الجمالي الممتع فقط، بل تعدت ذلك، وأحالت إلى جانب رمزي دال على رؤى خاصة بالكاتبة، تحاول طرحها على المتلقي.

اللغة الشعبية:

امتازت لغة السرد في أعمال منى سالم الروائية في اعتمادها على الأغنية الشعبية في متن السرد الروائي، فهي دائمًا تحاول أن تعزز الموروث الشعبي بأنواعه كافة داخل بنية السرد، فيظهر هذا الملمح في رواية زينة الوادي في باريس، حين رجع الرجال من رحلتهم الشاقة بحثًا عن الجمل الذي تعثر " **سالمة يا سلامة .. رحنا وجينا بالسلامة .. سالمة سليمهم من عين العادي احرسيهم .. سالمة سلمك الله ..من الحاسد يحرسك الله**".(١)

ويظهر أيضًا على لسان الجدة أم الخير إذ تغني لزينة الوادي في وجود أبيها (الكبير) فتقول: " **زينة يا حد الزين .. يا فاتنة ولاد عمك .. جابوا حلوانك جملين .. والشريط الغالي لأمك .. يا زينة عجبتيني .. يا قمحة طواليه .. أبوكي .. يقول ألفين وبقوا ألفين .. وعمك يقول ميه ليكي .. ودفع الأموال يا بنت الكباريه ..**

سمع الكبير غناء الجدة؛ فأعجب به كثيرًا، وقال لها:

غني كمان شوية يمكن ربنا يفكها ويتغير الحال، ونفرح كلنا، فقالت أم الخير: لما قالوا بنيه .. قلت الحبيبه جيه .. تضم دوار البيت .. وتحضر معايا المويه ..، الله كلامك جميل يا جدة". (٢)

وعلى لسان الحاجة خضرة التي جاءت إلى زينة لتتم طقوسها الشعبية اعتقادًا منها بأن هذه الطقوس تشفي العليل، تغني لزينة، فتقول: " **حودي اي زينة من الدرب حودي .. فستانها بأربع ردودي.. لبست فستان وشبكة.. وتقلبت على المخدة .. قلت عيون المحبة .. ما قدرت أصلي الفروض .. قلت عيون المحبة.. ما قدرت أصلي واصومي**". (٣)

(١) رواية زينة الوادي في باريس، ص: ٢٢.
(٢) نفسه، ص: ٤٠، ٤١.
(٣) نفسه، ص: ٦٢، ٦٣.

وعلى لسان شخصية شرخ الذي ينتظر خروج الطريشة من جحرها تنفيذاً لأمر الكبير الذي طلبت منه الحاجة خضرة هذه الطريشة لرميها على المرأة الحسودية وقت زيارتها لابنته زينة لتزعر وتخاف، ويتم شقاء زينة، فيقول الراوي: " ومن خبرته السابقة أدرك أن أي طريشة لا تخرج من جحرها إلا معر غروب الشمس .. ولما طال الوقت أخذ يغني لنفسه:

يا عم يا أبوالحسن .. يلي على الأبحار
عدي عليا تلاتة .. والتلاتة أبكار
حلفتهم بالأمانة ... منين يا شطار
الأولى قمر .. والتانية هلال
والتالتة العروسة .. غيرت الأفكار
في عروسة قادت .. في قلبي النار
يا عم أبوالحسن.. يا أبو لبس مدارس
بيع البقر والعجول.. وهتلي دهان راس
وإن عيروك الصبايا.. قول يا لهوي قاسي
يا عم أبو الحسن .. يا أبو قلب دايب
بيع البقر والعجول.. هاتلي حرير التوب
وإن عيروك بأمك وأبوك .. قول رماني الشوق (١)

وعلى لسان الشيخ همام يمدح النبي محمد–صلى الله عليه وسلم– ويصدع بصوته " **صلوا على من عيونه كحل رباني.. آمنة وضعته ما لوش مثيل تاني.. وآمنة وضعته في الأرض بيه سمت،، والكافرين ولت أسلموا على زمته عربي وطيلاني.. صلوا على النبي**".(٢)

ويقول في موضع آخر "**صلوا على من نزل صايم وربه هداء .. شبعان تقوى ومن حوض النعيم سقاء.. نزلت ملوك السماء والعرش تتلقاه.. كشفوا على لحيته ولوقوه رسول الله.. والوجه شبه القمر والعين ما شاء الله .. والوجه شبه القمر ما صورة إلا الله**".(٣)

(١) رواية (زينة الوادي في باريس)، ص ٦٩، ٧٠.
(٢) نفسه، ص ٧٧.
(٣) نفسه، ص ٧٩.

وعلى لسان الشيخ مرشد يمد النبي –صلى الله عليه وسلم" **نبينا بـــاين للـــشرق.. ومديحه يشرح القلب.. نبينا لابس توبين.. ومتقلد بالـــشاش الزينيـــا .. يبحتـــه وردت الفين**". (١)

يمكن القول إن الغنوة الشعبية ذات حضور مهيمن في بنية السرد في روايات منى سالم عامة وفي رواية (زينة الوادي في باريس) خاصة، حيث سردت الكاتبة للمتلقي عـــدة أغاني شعبية متداولة على الألسن حتى الآن، هذه الأغاني الشعبية كـــشفت للمتلقـــي عـــن طبيعة المكان وشخوصه، وأسهم في الكشف عن خصوصية اللغة السردية لدى الكاتبة.

النتائج:

إن البراعة في توظيف اللغة تسهم في معرفة قدرة الروائي الفنية في سبك الحكاية داخل بنية السرد، ومنى سالم حاولت بقدرة لافتـــة للنظـــر أن تـــستخدم اللغـــة الـــسردية بمستوياتها كافة في التعبير عن رؤيتها تجاه البيئة المصرية بواقعيتهـــا وتخيلاتهـــا، وهـــذا يضفي على اللغة طابع الخصوصية، ومن خلال هذا البحث توصلت الباحثة إلى مجموعـــة من النتائج، أهمها:

- كشفت اللغة عن عمق التجربة الأدبية للكاتبة منى سالم، وهي تجربـــة فـــي مجملهـــا منغمسة في الموروث الشعبي من معتقدات وعادات وتقاليد ومثل وقيم،
- تتبع خصوصية اللغة السردية داخل الأعمال الروائية في وقوفها على مفردات الحيـــاة اليومية من تعبيرات، كالرحاية، والمخرطة، والكلوبات، والدلكة، وطاسة الخضر.
- عبرت اللغة السردية داخل بنية الحكي عن الطقس الشعبي بأنماطه كافة كاشـــفاً عـــن طبيعة البيئة الريفية.
- تجلت لغة الوصف عند منى سالم خاصة عند الحديث عن القرية المصرية، حيث إنها كشفت عن بيئتها، تأثرت بها وأثرت فيها، لذلك بدت مفردات القرية واضـــحة جليـــة داخل بنية السرد، وهذا بالطبع له طابع الخصوصية عند الكاتبة.
- جاءت لغة الحوار عند منى سالم في عدة أشكال داخل أعمال منـــى ســـالم الروائيـــة، حيث كانت المناجاة ذات نصيب كبير في بنية السرد ثم الديالوج والمونولوج الدرامي الذي أسهم في تفاعل المتلقي مع الخطاب الروائي.
- اتسمت اللغة في بعض المشاهد الروائية بالشعرية، حيث انسابت اللغـــة كاشـــفة عـــن قدرة الكاتبة في التصوير الإبداعي الذي يحمل دلالات ورموز تدعم رؤية الكاتبة.

(١) نفسه، ص ١٠١.

المصادر والمراجع:

١) إبراهيم جنداري ونبهان حسون السعدون، الإيقاع في القصة القرآنية، مجلة التربية والعلم، كلية التربية – جامعة الموصل، العدد ٢٩ لسنة ٢٠٠١م.

٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٩م.

٣) أبو نصر إسماعيل الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) تحقيق محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م.

٤) أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال، مصر، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٦م.

٥) بسام قطوس، مقاربة نصية في الأدب الفلسطيني الحديث، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٠م.

٦) تزفيتان تودوروف، المبدأ الحواري، دراسة في فكر ميخائيل باختين، ت/ فخري صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢.

٧) حميد لحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩١م.

٨) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٩) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٠) عبد المالك مرتاض، في نظرية الأدب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر، ٢٠٠٥م.

١١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

١٢) لطيف زيتوني، معجم نقد الرواية (عربي–انجليزي–فرنسي)، مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر، ط١، ٢٠٠٢م.

١٣) محمد بوعزة، التشكيل اللغوي في الرواية، علامات في النقد، ج ٣٣، مج ٩، النادي الأدبي الثقافي، جدة، (١٩٩٩م).

١٤) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.

١٥) منى سالم، البيوت في بر مصر، ماهي للنشر والتوزيع – إسكندرية – مصر، (الطبعة الثانية : ٢٠١٩ م).

١٦) منى سالم، المشهرات، جولدن بوك للنشر والتوزيع– إسكندرية – مصر، (الطبعة الثانية: ٢٠٠٥ م).

١٧)منى سالم، أميرة الجان أحبتني، دار الهدى للمطبوعات – إسكندرية – مصر، (الطبعة الأولى: ٢٠١٦ م).
١٨)منى سالم، توأم روحي، ماهي للنشر والتوزيع – إسكندرية – مصر، (بدون تاريخ).
١٩)منى سالم، زينة الوادي في باريس، مركز ليفانت للدراسات الثقافية، (الطبعة الأولى: ٢٠٢٢م).
٢٠)نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد، الأردن، (د. ط) (د.ت).